دور سياسة التتريك في انهيار الدولة العثمانية

أ.م. علي كامل حمزه السرحان
جامعة الفرات الأوسط التقنية/المعهد التقني بابل

Alttrik Policy Role in the Collapse of the Ottoman Empire

Assist. Prof. ALI K. Hamzah AL-Sarhan
AL-Furat Al-Awsat Technical University Babylon Technical Institute,
51015 Babylon, Iraq.
alikamil367@yahoo.com

Abstract:-

In implementing its plan to share the property of the Ottoman Empire, the European countries sought to follow different methods and methods, including sectarian strife and strife and International, especially between Arabs and Turks, which led to the formation of political parties and associations, and in 1908 the ottoman state seized an assembly, ALetehad and ALtaraqi, which in turn followed the policy of discrimination against Arabs in various state institutions, as they sent Turkish governors to the Arab regions, and the intolerance of ALetehadeen against the Arabs led to the formation of parties and associations calling for reform and the application of the principle of administrative decentralization while remaining under the rule Ottoman.

As a result of the policy of Alttrik took nationalist and chiefly Arabic nationalist movement calls for getting rid of the Ottoman domination and the establishment of an independent Arab State of the Ottoman Empire, is a natural reaction to the Alttrik policy pursued by the Feds against Arabs which led to the formation of associations and parties And public meetings called by getting rid of the whipping.

Keywords: Alttrik Policy, Ottoman Empire.

الملخص: -

سعت الدول الاوربية في تنفيذ مخططها لاقتسام أملاك الدولة العثمانية الى اتباع طرق وأساليب مختلفة منها النعرات والفتن الطائفية والقومية ولاسيما بين العرب والأتراك، مما أدى الى تشكيل أحزاب وجمعيات سياسية، وفي عام 1908 استولى على الحكم في الدولة العثمانية جمعية الاتحاد والترقي والتي قامت بدورها باتباع سياسة التمييز ضد العرب في مختلف مؤسسات الدولة، كما أرسلوا ولاة اتراك الى الأقاليم العربية، وقد أدى تعصب الاتحاديين ضد العرب الى قيامهم بتشكيل أحزاب وجمعيات تدعو الى الإصلاح وتطبيق مبدأ اللامركزية الإدارية مع بقائها تحت الحكم العثماني.

ونتيجة لسياسة التتريك أخذت الحركات القومية وعلى رأسها الحركة القومية العربية تدعو الى التخلص من السيطرة العثمانية وانشاء دولة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية، وهو رد فعل طبيعي لسياسة التتريك التي اتبعها الاتحاديون تجاه العرب مما أدى الى تشكيل الجمعيات والأحزاب السرية والعلنية التي دعت الى التخلص من السيطرة العثمانية.

الكلمات المفتاحية: سياسة التتريك، الدولة العثمانية.

المقدمة: -

أدركت الدول الاوربية منذ بدايات القرن الثامن عشر محاولات القوميات المختلفة المنضوية تحت الحكم العثماني في التحرر والانفصال عنها، فقد كان هنالك عدد من الشخصيات التي تنتمي الى القومية العربية ممن تلقوا تعليما اوربيا في المدارس والمعاهد والكليات التابعة للدول الاوربية، حيث اخذ هؤلاء يحملون الفكر الغربي ويسعون جاهدين لنشر أفكارهم بين شعوبهم لمطالبة الحكومة العثمانية بالسير نحو الحرية.

كانت الدول الاوربية تقيم العلاقات الثقافية والسياسية مع هؤلاء لاستغلالهم في تنفيذ المخطط الاستعماري، ففي الوقت الذي نشطت فيه الحركات القومية من تركية وعربية...الخ لتحقيق آمال شعوبها كان لهذه الدول الغربية اهداف أخرى الا وهي استغلال تلك الحركات من اجل تفتيت الدولة العثمانية من الداخل وتوزيع ممتلكاتها بينها.

قسم البحث الى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناولنا في المبحث الأول أسباب ظهور ونشوء القومية التركية والعربية في الدولة العثمانية، وسلطنا الضوء في المبحث الثاني على الصراع بين القوميتين التركية والعربية، وخصصنا المبحث الثالث الى دور سياسة التتريك في انهيار الدولة العثمانية، وقد استخدم الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي، وخلص البحث الى اهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث.

تمهيد:

كانت الدولة العثمانية خليطا من الشعوب والقوميات يحكمها العثمانيون الاتراك بمشاركة عدد من الموظفين والمستشارين الذين ينتمون الى عدة قوميات، وفي القرن التاسع عشر بدأت الشعوب المنضوية تحت السيطرة العثمانية تتطلع الى الغرب وتطوره ولا سيما الذين تلقوا تعليمهم في الغرب، والذين بدوا مختلفين عن اقرانهم المتعلمين في المدارس العثمانية، ومن الطبيعي ان ينقل هؤلاء أفكارهم التي تلقوها الى أبناء جلدتهم ونشرها في ربوع الدولة العثمانية، وبذلك بدأت جذور الحركات القومية تنمو في الأقاليم العثمانية، ونتيجة لدعم اوربا نشطت الحركات القومية في الأجزاء الاوربية من الدولة العثمانية واستقلت اليونان ورومانيا وبلغاريا وصربيا والبانيا، كما احتلت بريطانيا قبرص ثم توجهت الى افريقيا واحتلت مصر والسودان، وتوجهت فرنسا نحو الجزائر وتونس والمغرب، ولم يبق الا الأقاليم الاسيوية فبدأت الضغوط الدبلوماسية لتغير الأوضاع فيها لتحقيق مصالحها، وبذلك توزعت أملاك الدولة العثمانية بين الدول الاوربية[1].

ان تلك التبدلات والتغيرات كلها حدثت على وفق مقتضيات مبدأ القوميات على أساس استقلال الأمم عن الدول الأجنبية التي تحكمها، واتحاد الأمم التي كانت مجزأة وموزعة بين دول عديدة وبتعبير ادق على أساس تكوين الدولة القومية، ولذلك سعت الدول الاوربية الى مساعدة الحركات القومية وتقديم الدعم المادي والمعنوي للأحزاب والجمعيات القومية الداعية الى الانفصال عن الدولة العثمانية، وتحت ستار القومية نشأت العديد من الأحزاب والجمعيات لتحقيق اهداف وطموحات خاصة ليس لأبناء القومية دور فيها، ومن تلك الجمعيات على سبيل المثال جمعية الاتحاد

[1]() بان غانم احمد الصائغ، دور الحركات القومية في انهيار الدولة العثمانية، بغداد، التربية والعلم "مجلة"، مج (13)، العدد(2)، 2006، ص3.

والترقي[2]، ولكن يجب التمييز بين الاتحاديين الذين مارسوا سياسة عنصرية والأتراك الذين وقفوا في مواجهة تلك السياسة[3].

المبحث الأول: أسباب ظهور ونشوء القومية التركية والعربية في الدولة العثمانية: –

أ- أسباب ظهور القومية في الدولة العثمانية: –

ظهر التيار القومي في الدولة العثمانية مع نهاية القرن التاسع عشر، بوصفه فكر يقابل النهج المتطرف في الحكم والحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنواحي الاخرى، وتبلور هذا التيار في بداية القرن العشرين، اما أسباب ظهور الفكر القومي فيمكن اجماله في:

1. ان الدولة العثمانية التي كانت تمثل اخر شكل من اشكال الخلافة الإسلامية لم تستطع ان تلبي حاجات الشعوب المنضوية تحت حكمها على جميع الأصعدة، وانحصر تفكيرها في تقوية رموز ال عثمان، الامر الذي لم يستند في الحقيقة الى اية قراءة معروفة من قراءات المسلمين للدين، وانما جاءت سياسة ال عثمان متناقضة مع ابسط معطيات الإسلام مما أدى الى إصابة المسلمين ولاسيما العرب منهم بخيبة امل مما خلق بدوره أرضية مناسبة لقبول طموحات أصحاب الفكر القومي [4].
2. بعد الانهيار الذي أصاب الدولة العثمانية ظهر عدد من السياسيين من داخل السلطة وبضغوط من الدول الاوربية اخذوا يدعون الى العمل على انقاذ الدولة عن طريق الإصلاح السياسي وذلك باعتماد دستور يقيد السلطان، علما ان الدستور كان قد صدر من قبل السلطان عبد الحميد الثاني[5] عام 1876 بضغط من دعاة الإصلاح وظروف الدولة العثمانية الخارجية حينذاك، الا ان العمل بذلك الدستور لم يستمر سوى سنة واحدة، ثم علق بسبب الحرب العثمانية–الروسية(1877–1878)، وعاد الاستبداد من جديد مما دفع عدد من الاتراك والعرب الى تشكيل جمعيات وأحزاب سرية، وكان اخطر تلك الجمعيات جمعية الاتحاد والترقي او تركيا الفتاة التي تمكنت في عام 1908 من ارغام السلطان على إعادة العمل بدستور 1876، ولكن بعد ان تولى هؤلاء الحكم طغى على سياستهم التفكير العنصري التركي، فقاموا بإخراج غير الاتراك من المناصب الحساسة في الدولة، ودعا بعضهم الى تتريك العرب وغيرهم من العناصر الأخرى، وفرض اللغة

---

[2]() الاتحاد والترقي: تألفت في عام 1894، وانتسب اليها الضباط الطليعيين والمثقفين الذين كانوا يعكسون مصالح البرجوازية التركية ويؤيدون تحويل الامبراطورية العثمانية الى دولة برجوازية دستورية، فكان دستور 1876 من مطالبهم الرئيسية. أنظر: فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، موسكو، دار التقدم، 1971، ص394.

[3]() بان غانم احمد الصائغ، المصدر السابق، ص4.

[4]() موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض او السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، الكويت، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر، 1984، ص261.

([5]) السلطان عبد الحميد الثاني: ولد السلطان عام 1258هـ/1842، وجلس على العرش عام 1293هـ/1876م بالغا من العمر خمس وثلاثون عاما في اول جلوسه على العرش، ومن اهم اعماله اعلان الدستور العثماني والذي يتضمن (119) مادة، ثم افتتاح مجلس المبعوثان العثماني. للمزيد انظر: إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2004، ص371.

التركية وافراغ الخلافة من بعدها الإسلامي مما أدى الى امتعاض العرب، الامر الذي ساعد دعاة القومية العربية على نجاح دعوتهم[6].

3. كان لابد لبريطانيا من تهيئة الأمور لقبول الراي العام في المنطقة لفصل الأقاليم التابعة للدولة العثمانية لاسيما الأقاليم العربية، فعملت بريطانيا على تشجيع الدعوات وطرح أفكار الاستقلال، وساندت المصلحين ودعمتهم [7].
4. كان المصلحون يخلقون مأزقا صعبا فهم لم يقدموا أي مخرج من المشكلة التي كانوا اول من أشاروا اليها، فقد ميزوا بين الثقافة الغربية والاستعمار الغربي، فبشروا بالأولى وحذروا من الثانية، كما انهم مجدوا العرب وكشفوا عن استبداد الحكم العثماني، ومع ذلك دعوا الى المحافظة على الإمبراطورية العثمانية [8].

ب- قيام القومية التركية: -

ان قادة تركيا الفتاة وزعماءها لم يكونوا من أصل تركي خالص[9]، ويعد (ايمانويل كاراسو Carasso) [10] من اهم الشخصيات التي أدت دورا في تركيا الفتاة، فضلا عن كونه عضوا في مجلس المبعوثان، شأنه شأن بقية الأعضاء اليهود الحريصين على ان يكون كل منهم تركيا بالدرجة الأولى [11].

وقد شكل في عام 1889 مجموعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الإمبراطورية [12] في إستانبول منظمة سرية هدفها عزل السلطان عبد الحميد الثاني باسم القومية التركية، وكان وراء تشكيل تلك المنظمة السرية رجل ماسوني من البانيا يدعى (إبراهيم تيمو)، وقد باشرت المنظمة اعمالها منذ عام 1891 في جنيف أولا ثم نقلت الى باريس وكانت دعوتهم سرا، وقرروا نشر افكاره بين صفوف الجيش[13]، وأصدر (اسحق سكوتي) بالتعاون مع (عبد الله

---

[6]() بان غانم احمد الصائغ، المصدر السابق، ص5.

[7]() موفق بني المرجة، المصدر السابق، ص ص236-237.

[8]() تاج السر احمد حران، تطور الفكر القومي العربي خلال العلاقات العربية-التركية (1908-1914)، الكويت،(د. مط)، 1983، ص46.

[9]() كان أنور باشا ابن رجل بولندي، وجاويد باشا من الطائفة اليهودية المعروفة بالدونمة، وقارصوه من اليهود الاسبان الذين نزحوا الى الدولة العثمانية القاطنين في سلانيك، اما طلعت باشا فهو بلغاري من اصل غجري اعتنق الإسلام ظاهريا، اما احمد رضا وهو احد زعماء تلك الحقبة فقد كان نصفه شركسيا ونصفه الاخر غجريا، اما نسيم روسو وفارجي مازلياح فهما من اليهود ويعدان من العناصر المؤسسة والفعالة في تركيا الفتاة، وكان لليهود نفوذ وغلبة في الحركة. للمزيد انظر: حسان حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية(1897-1909)، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، 1999، ص306.

[10]() ايمانويل كاراسو Carasso: وهو يهودي اسباني كان اول من اشترك في الحركة ووصفته المصادر الإنكليزية بانه من قادة الاتحاد والترقي، وادى دورا مهما في الاحتلال الإيطالي لليبيا عام 1911 نظير مبلغ من المال دفعته له إيطاليا، واضطر نتيجة خيانته للدولة العثمانية في الهرب الى إيطاليا وحصل على حق المواطنة الإيطالية (الجنسية) واستقر في تريستا حتى وفاته عام 1934. للمزيد انظر: أرنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة 1908، ترجمة صالح احمد العلي، بيروت، (د. مط)، 1960، ص ص44-45.

[11]() حسان حلاق، المصدر السابق، ص293.

[12]() في مقدمة الطلبة الذين اشتركوا في المنظمة السرية هم: إسحاق سكوتي، شركس محمد رشيد، عبد الله جودت كرديان. للمزيد انظر: بان غانم احمد الصائغ، المصدر السابق، ص6.

[13]() محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة، مكتبة الآداب، ط3، 2009، ص410.

جودت) مجلة(عثمانلي) في جنيف لمحاربة السلطان عبد الحميد الثاني وتأليب الرأي العام عليه وكسب المؤيدين للمنظمة، وقد عرف هذا التنظيم فيما بعد باسم الاتحاد والترقي وهو فرع لحزب تركيا الفتاة، ونظرا للمخططات المناهضة للسلطان العثماني دأب أعضاء الجمعية على عقد اجتماعاتهم في المحافل الماسونية، وأول اجتماع عقد للجمعية كان في المحفل الماسوني الإيطالي، كما فتحت السفارات الأجنبية أبوابها للمخططات المحاكة ضد السلطان وكانت فرنسا وبريطانيا السباقتين لإيواء المناهضين للسلطان وتركهم يعملون في عواصمهما[14].

وفي عام 1906 كون مصطفى كمال جمعية سرية تدعى(الوطن) مع زملائه (مفيد اوزداش، سليمان بك، حاجي مصطفى بك)، وتأسست لهذه الجمعية فروع في يافا والقدس، وكان أعضاؤها من الجيش الخامس الذي كان مقره في سوريا، ونظرا لكون فروع الجمعية في مكان غير ملائم لممارسة نشاطها تقرر نقل مقرها الى سالونيك بوصفها ميدانا خصبا للعمل ضد السلطان عبد الحميد الثاني [15]، وفي العام ذاته تأسست جمعية (الحرية العثمانية) وسط ظروف غامضة ولم تلبث ان اندمجت في العام التالي بجمعية (الاتحاد والترقي) بباريس، وفي سالونيك دمج عمل الجمعيات المناهضة للسلطان تحت اسم(عثمانلي اتحاد وترقي جمعيتي)[16].

اما السلطان عبد الحميد الثاني فقد كان منشغلا بـ(الجامعة الإسلامية) وظل العثمانيون حكومة وشعبا مرتبطين بفكرة الجامعة الإسلامية، بعيدين عن الحركة القومية الجديدة التركية(الطورانية)[17] التي ظهرت الى الوجود في ضواحي سالونيك حتى العقد الأول من القرن العشرين[18]، أذ توثقت العلاقات بين ضباط الجيش الثالث والشبان الذين أسسوا الجمعيات المناهضة للسلطان[19].

ان المحافل الماسونية المتواجدة في سالونيك قد ساعدت المعارضين على تحركاتهم، وفي الوقت ذاته تقدم معلومات عن الدولة العثمانية والأوضاع فيها للدول الاستعمارية المرتبطة بها [20]، وقد تمكن اليهود من الوصول الى النفوذ في تركيا الفتاة واخذوا يشجعون الاتجاهات القومية التركية [21].

وتمكنت جمعية الاتحاد والترقي من الحصول على التأييد والدعم من الشباب والسياسيين والوطنيين الاتراك وإقامة تشكيلات عسكرية سرية داخل الجيش العثماني الذي كانت أوضاعه متردية، كما استطاعت في سالونيك من

---

[14]() حسان حلاق، المصدر السابق، ص288.

[15]() أرنست أ. رامزور، المصدر السابق، ص118.

[16]() موفق بني المرجة، المصدر السابق، ص298.

[17]() الطورانية: من اصل فارسي وهو يشير بوجه عام الى المناطق الواقعة شرقي ايران، وكان يعتقد حتى القرن التاسع عشر انها الموطن الأصلي للجنس الطوراني، مما أدى الى نمو شعور لدى أبناء تلك المناطق الانتماء الى الجنس الطوراني، ثم تحولت الى أيديولوجية سياسية تبناها عدد من القادة الاتحاديين. للمزيد انظر: مصطفى عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، بيروت، 1983، ص261؛ Wayne Vucinich, The Ottoman Empire its Recard and legac, London, 1965, p.168 .

[18]() موفق بني المرجة، المصدر السابق، ص ص195-196.

[19]() أرنست أ. رامزور، المصدر السابق، ص ص138-139.

[20]() جون هاسلب، السلطان الأحمر، ترجمة فيليب عطا الله، بيروت، (د. مط)،(د.ت)، ص297.

[21]() حسن صبري الخولي، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، ج2، القاهرة،(د. مط)، 1970، ص109.

كسب عدد من ضباط الجيش يدعمهم مجموعة من الشبان الاتراك [22] فضلا عن مجموعة من اليهود، من اجل القيام بانقلاب ضد السلطان عبد الحميد الثاني [23].

وبسبب تأييد الاتحاديين لمطالب الصهيونية وتشجيعهم للهجرة اليهودية الى فلسطين جرى نقل الموظفين الاتراك المعارضين للهجرة اليهودية من فلسطين، وهناك إشارات الى ان عدد المهاجرين اليهود الى يافا قد ارتفع في عهد الاتحاديين عما كان عليه في العهد الحميدي، اذ بلغ عدد المستوطنات التي شيدها اليهود خلال السنوات(1910-1914) (39) مستوطنة تضم نحو(12) ألف يهودي [24].

انكشف القادة الجدد بعد الانقلاب اذ استقدموا الخبراء من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، وغدا الأجانب مسيطرين على شؤون الدولة، وقد أدت تلك الأوضاع الى انخفاض شعبية الاتحاديين لدى الشعب التركي، وبدأ الجيش بالتذمر مما اضطر القادة الجدد الى ابعاد التمردين الى الجزيرة العربية، الامر الذي فسح المجال لهؤلاء المبعدين بالقيام بتشكيل تنظيم عرف باسم (الاخوة المحمدية) مهمتها انقاذ البلاد من اليهود ومؤامراتهم والتخلص من الماسونية المتمركزة في سالونيك [25].

ت- نشوء القومية العربية: -

تنامى الوعي القومي للعناصر التي تتألف منها الدولة العثمانية خلال السنوات(1908-1914)، ولم يشذ العرب عن ذلك، فما كان منهم الا البدء بتشكيل الجمعيات والأحزاب السرية والعلنية التي قامت بدور مهم في العمل للتخلص من نير الحكم العثماني، ويمكن القول ان الحركة القومية العربية كغيرها من الحركات القومية في العالم تدرجت من اتجاهات ثقافية الى أخرى سياسية وتطورت من تطلعات أقليمية محدودة ضمن الإطار العثماني الى آفاق قومية أوسع [26].

وقبيل الحرب العالمية الأولى كان الوعي السياسي في الأقاليم العربية مقتصرا على العسكريين والتجار، وكان النشاط السياسي موجها ضد جمعية الاتحاد والترقي وسياسة التتريك والمركزية، فنشأت أحزاب وجمعيات عديدة معارضة ولكنها تعمل ضمن الإطار العثماني[27] تألفت الجمعيات والأحزاب في العراق ومصر وسوريا وإستانبول لتعزيز شأن العرب والمطالبة بحقوقهم ومساواتهم بالأتراك في تعزيز قوميتهم، فأثرت هذه الجمعيات تأثيرا بالغا [28] في

---

[22]() عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1970، ص52.

[23]() أنيس الصائغ، الهاشميون وقضية فلسطين، ترجمة راشد حميد، بيروت، 1972، ص126.

[24]() بان غانم احمد الصائغ، المصدر السابق، ص9.

[25]() جون هاسلب، المصدر السابق، ص ص314-315.

[26]() أبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني(1516-1916)،مطبعة جامعة الموصل،1983،ص362.

[27]() محمد أبراهيم محمد، مقاومة العرب للاضطهاد العثماني، بغداد، دار الجواهري، 2011، ص32.

[28]() غانم وحيد الجبوري، أثر المثقفين العرب في تطوير العراق المعاصر (1921-1941)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة الموصل، 1995، ص11.

تكوين الرأي العام العربي، وساعدت في نشر الوعي من خلال الصحافة والعمل على خلق النهضة الوطنية، وتعد(جمعية العربية الفتاة)[29] أهم تنظيم عربي قومي بعد اعلان إعادة العمل بالدستور بعد الانقلاب في 1908[30].

في الأيام الأولى التي تلت الانقلاب العثماني قد شاع بين القوميين امكان اجراء تحولات جذرية لدى العرب وتحررهم الوطني في نطاق تركيا الحديثة، فعمد القوميون العرب الى التعاون مع أنصار تركيا الفتاة مفعمين بالأمل بالحصول على مساندة لحل مشكلات كانت تمر بها الولايات العربية [31]، وبعد الانقلاب العثماني انتقل مركز الحركة القومية من المهجر الى إستانبول التي اجتمعت فيها أكثر العناصر النشيطة من ضباط وموظفين وطلاب، وفي 2 أيلول1908 عقدت تلك العناصر اجتماعا للجالية العربية في استانبول وكونت اول منظمة عربية وهي (الاخاء العربي- العثماني) وأصدرت باسمها صحيفة وفتحت لها فروعا في الولايات العربية[32].

وبعد سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على الحكم واتباعها سياسة التتريك، عمل أعضاؤها على ابعاد العناصر غير التركية وقاموا بملاحقة العناصر القومية من العرب، وبعد تلك التطورات وانتشار سياسة التريك بدأت القومية العربية تعني شيئا آخر غير الإصلاح، اذ أصبحت تعني حرية العالم العربي واستقلاله عن الدولة العثمانية وتلك الدعوة تبناها الشريف حسين بن علي [33] في الحرب العالمية الأولى [34].

ان اهم ما لفت انظار العرب واكد لديهم التعاون التركي-الماسوني هو الفرحة التي استقبلت بها الأوساط الصهيونية انقلاب 1908، والذي علق عليه الزعماء الصهاينة آمالا كبيرة، وتوقعوا ان تكون فاتحة عهد جديد لهم من اجل تمرير مخططاتهم الرامية الى استيطان فلسطين ومن ثم احتلالها، ولذلك تزلف اغلب زعماء الصهاينة وعلى رأسهم (ديفيد بن غوريون) الذي سافر الى تركيا عام 1911 لدراسة اللغة التركية والاطلاع عن كثب على أوضاع الدولة العثمانية، وكيف التعامل مع الاتراك [35].

---

[29]() جمعية العربية الفتاة: تأسست في باريس عام 1911 واراد مؤسسوها ان تكون للعرب جمعية كجمعية تركيا الفتاة التي تدل على القومية التركية. للمزيد أنظر: محمد عزة دروزه، نشأة الحركة العربية الحديثة، بيروت، المكتبة العصرية، 1971، ص481.

[30]() بان غانم احمد الصائغ، المصدر السابق، ص11.

[31]() أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، القاهرة، (د. مط)، 1959، ص35.

[32]() أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، ج1، بيروت،(د. مط)،(د.ت)، ص7.

[33]() الشريف حسين بن علي: يعود نسبه الى الرسول (ص)، واصبح شريفا لمكة في عام 1908، ومنذ توليه منصب شريف مكة اصطدم مع الوالي العثماني وهيب باشا بسبب تلكؤ الشريف حسين في تأييد الدولة العثمانية بدعوتها الى الجهاد المقدس وارسال المتطوعين، وهو من الشخصيات المرشحة للزعامة في المناطق التي وعدت بريطانيا باستقلالها وفق مراسلات (حسين- مكماهون). للمزيد انظر: إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص423.

[34]() جورج انطونيوس، يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية)، ترجمة ناصر الدين أسد وأحسان عباس، بيروت، 1969، ص195-196.

[35]() صبري جرجيس، تاريخ الصهيونية (1862-1917) ، ج1، بيروت، 1961، ص ص262-263.

أنشأت تلك الأوضاع شعورا يعارض الشعور الذي اتبعته الاخوة الإسلامية فانصرفوا عنها الى فكرة أخرى، وهي الفكرة التي عبرت عنها الشـــعوب الرازحة تحت الحكم العثماني، ثم كان مؤتمر باريس عام 1913[36] الذي اظهر بدايات القومية العربية، فكان لابد من إيجاد دعوة تقابل الجامعة الطورانية وتصبح رد فعل طبيعيا [37].

أعلنت الثورة العربية التي تبناها الشـريف الحسـين بن علي عام 1916 خلال الحرب العالمية الأولى مسـتهدفا استقلال المناطق العربية–الممتدة من خط مرسين–أظنه الموازي لخط العرض 37 درجة شمالا، ثم على امتداد حدود فارس الى الخليج العربي جنوبا باستثناء عدن، وغربا على امتداد البحر الأحمر ثم البحر المتوسط حتى مرسـين–من السيطرة العثمانية [38].

كانت التنظيمات الســـرية [39] المحرك الأســـاس للقومية العربية، فقد وجدت تلك التنظيمات ذاتها بحاجة الى المراتب الاجتماعية المتنفذة، مما أضـــعف من حرية تحركها، كما عرقلت الحرب العالمية الأولى(1914–1918) النمو الطبيعي للاتجاه القومي العربي وذلك بتحميله مسـؤوليات لم يكن مهيئا لها الامر الذي اضـطره الى الدخول في مســـاومات مع قيادات علنية محافظة تقليدية معادية للعثمانيين كالشـــريف حســـين بن علي، ونتيجة لقصـــور تلك التنظيمات وضـــعفها وقعت في خطأ التحالف مع الإنكليز الذين ســـرعان ما تنكروا لها وعملوا على اقتســـام الأقاليم العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية مع الفرنسيين وفق اتفاقية سايكس–بيكو[40].

المبحث الثاني: الصراع بين القوميتين التركية والعربية: –

أ– **مظاهر الصراع القومي العربي–التركي: –**

ان السياسيين العرب ساهموا بتفاوت في المعارضة للحكم العثماني وبخاصة في العهد الحميدي، الا ان أيا منهم لم يتطرق في طروحاته للانفصـــال عن الدولة، وتراوحت بين النزوع للامركزية في الحكم او تبني صـيغة الدولة ثنائية القومية، حيث كان استقبال العرب للإعلان بعودة الدستور أثر انقلاب 1908 لا يقل تأييدا عن الاتراك [41].

لم يكن للعرب بعد عودة الدستور اتجاها قوميا صرفا، بالرغم من ان تلك البذرة قد نبتت عندهم نباتا محدودا قبل اعلان الدسـتور، فقد كان يكفيهم وقد اطمأنوا الى جدوى الحكم الدسـتوري ان تحفظ مكانتهم في العهد الجديد بصـفتهم عثمانيين وتراعي حقوقهم على قدم المساواة مع بقية العناصر، وقد مالت اكثريتهم الى وجوب الإصلاح والتقدم بالتآزر مع الترك، بعد ان كانت الآراء منقسمة في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني ومتنوعة تنوعا كثيرا، ان من يدعو الى الاشـــتراك مع احرار الترك للمطالبة بإصـــلاحات عامة تشـــمل جميع الولايات العثمانية بما فيها بالطبع الولايات

---

[36]() بسـبب ازدياد تعسـف الاتحاديين واضـطهادهم للحركة القومية العربية، اضـطر قادة الحركة والطلاب والمثقفين العرب الدارســـين في باريس ومنهم عبد الغني العريس وتوفيق فايد وجميل مردم...الى عقد مؤتمر في باريس لتعريف الرأي العام بالحركة القومية العربية ونشـــرها خارج الولايات العربية، وانتخب عبد الحميد الزهراوي رئيســـا للمؤتمر. للمزيد انظر: إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص420.

[37]() معهد الدراسات الاسيوية والافريقية، دراسات عن تركيا، ج2، بغداد، مطبعة الجامعة المستنصرية، (د. ت)، ص322.

[38]() جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص196.

[39]() حول التنظيمات السرية للقومية العربية انظر: إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص427.

[40]() المصدر نفسه.

[41]() سعد ثامر الحميدي، الصراع بين القوميتين العربية والتركية، الدوحة، 2011، ص275.

العربية، وبعد اعلان الدستور فقد قوى الاتجاه الأخير[42]، أملا بان يؤدي وجود ممثلين للعرب في مجلس المبعوثان الى انصافهم والقضاء على الفساد والسير في طريق الإصلاح والنهوض[43].

وأمل الكثيرون من العرب في العهد الجديد وتكونت جمعيات ونوادي علنية تعبر عن الصداقة العربية التركية ضمن السيادة العثمانية في نظام اداري لامركزي، فطالبت جمعية الاخاء العربي العثماني التي اعلن عن تأسيسها في استانبول وأصدرت صحيفة تكون لسان حال الجمعية وحملت ذات الاسم وباشرت الجمعية نشاطها في 2 أيلول 1908، وبعث بنشرات برامجها القائمة تحث على مساعدة المسؤولين للعناية بتقديم وإصلاح ولايات الدولة بما فيها الولايات العربية[44]بالحقوق المتساوية للجميع، وضم المنتدى الادبي في استانبول الطلاب العرب في المدارس العليا مع الموظفين والنواب في جمعية أدبية علنية كانت مركزا لتبادل الآراء، كما بدأت كتلة النواب العرب في مجلس المبعوثان تطالب بحقوق العرب في الإمبراطورية[45].

وفي 21 كانون الثاني 1909 ظهرت الاعداد الأولى من صحيفة الاخاء العربي العثماني والتي اكدت تأييدها لحماية الدستور وتوحيد جميع الاجناس في ولائها للسلطان وتحسين حالة الولايات العربية على أساس من المساواة الصحيحة بين العرب وباقي الملل الأخرى في الإمبراطورية العثمانية [46].

ب- بوادر الخلاف والنزوع اللامركزية: -

بالرغم مما بذله الزعماء العرب المعروفون في ذلك الوقت من جهود كي يظهروا اخلاصهم وتفانيهم في سبيل العهد الجديد والقائمين عليه، لم يلبث سوء التفاهم والارتياب ان حل بين الترك والاتحاديين وبقية العناصر العثمانية بما فيهم العرب محل الوفاق والتعاون، ولم يكن هناك ثمة سبب واحد لهذا التحول السريع، بل كانت الأسباب كثيرة ومتراكمة وكانت باكورتها تلك الحملة الصحفية التي اطلقها(حسين جاهد) في جريدته(طنين) منذ تشرين الأول 1908 وهو المعروف بالتعصب الطوراني، بان الامة التركية كانت وستظل هي الامة الحاكمة في السلطنة العثمانية، وان الترك يتمتعون بحقوق وامتيازات سامية بصفتهم فاتحين، فلا مجال للاعتراف بحقوق مساوية للعناصر العرقية الأخرى، وان الدستور العثماني لا يمكن ان يكون في شكله النهائي سوى دستور تركي[47]، ويحمل الكاتب(احمد شريف) في ذات الجريدة على العرب حصريا " لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما، كأنهم ليسوا تحت حكم الاتراك، فمن واجبات الباب العالي في هذه الحال ان ينسيهم لغتهم، ويجبرهم على تعلم لغة الامة التي تحكمهم فاذا اهمل هذا الواجب كان كمن يسعى الى حتفه، لان العرب اذا لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فانهم سيعملون عاجلا على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية جديدة على انقاض الترك[48].

لقد اضرم نار الصراع القومي ونشط الاستقطاب الطائفي بين الشعوب العثمانية، خاصة بعد سلسلة الإجراءات الإدارية التعسفية ضد الموظفين العرب في الوزارات والقصر السلطاني وحكام الولايات والفرق العسكرية وحتى

---

[42]() ساطع الحصري، نشوء الفكرة القومية، بغداد، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ص ص194-197.

[43]() توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري (1908-1914)، بيروت، دار الهنا للطباعة، 1960، ص83.

[44]() عبد العليم أبو هيكل، اللجنة التأسيسية لحزب اللامركزية العثمانية دراسة في الأصول الاجتماعية، القاهرة، دار الثقافة العربية، 1991، ص75.

[45]() خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق (1918-1920)، القاهرة، دار المعارف، 1971، ص18.

[46]() شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية، ج1، القاهرة، دار المعارف، 1969، ص215.

[47]() توفيق علي برو، المصدر السابق، ص96.

[48]() قدري قلعجي، الثورة العربية الكبرى (1916-1925)، بيروت، 1993، ص69.

العضوية لمجلس المبعوثان التي استغل فيها الاتحاديون قانون الانتخاب العثماني الذي يسوغ لأي شخص عثماني مستكمل لشروط الانتخاب ان يرشح نفسه عن أي منطقة شاء، فسعت حكومة الاتحاد والترقي الى ترشح بعض منتسبيها الاتراك في الولايات العربية، واستعمال نفوذها لضمان انتخابهم، وكثيرا ما كانت الحملات الانتخابية توظف وتأجج التنافس العنصري والقومي مما يوسع هوة الخلاف بين الشعبين[49].

وعندما تعرضت سيطرة الاتحاديين على الحكم للثورة المضادة في نيسان 1909 وهروب قادتها ونوابها من إستانبول وقف العرب تجاهها على الحياد ولم يثبت على أحد من سياسيهم الاشتراك في التحضير للثورة ولا في تنفيذها، بل أكثر من ذلك كان قائد جيش سالونيك الزاحف على إستانبول لاسترداد السلطة هو اللواء محمود شوكت عربي عراقي وكثيرا من الضباط العرب أمثال البكباشي عزيز علي المصري مشاركين للجيش الزاحف ومتحمسين للقضاء على الحكم المضاد للاتحاديين [50].

ج–النزوع العربي للامركزية في الحكم: –

تمحور موقف العرب بعد اعلان الدستور حول المساواة مع غيرهم من العناصر العثمانية في الحقوق والمنافع العامة الا انهم سرعان ما اكتشفوا ان تلك المساواة بعيدة المنال في ظل عقلية الاستحواذ التركي، فبالرغم من ان العرب كانوا يشكلون تقريبا نصف عدد سكان الدولة العثمانية الا ان فرص تمثيلهم البرلماني وفي تشكيلة الحكومة كانت ضئيلة في الأولى وشبه معدومة في الثانية، ليس مقارنة بالعنصر التركي فحسب، بل حتى بالعناصر الأخرى الأقل عدد منهم مثل الأرمن واليهود حيث كانوا أحسن حظا نسبيا منهم، اذ كان الاتحاديون يحسبون حساب هؤلاء بوزارة واحدة او وزارتين لكل مكون بالرغم من قلة عدد نفوس تلك المكونات مقارنة بالعرب الذين لم يمنحوا الا وزارة الأوقاف ثم حرموا منها مدة طويلة من حياة المجلس النيابي الأول، وكانت الصحف العربية في كل انحاء السلطنة في سوريا ومصر ولبنان والعراق تلهج بالتأييد والإخلاص للدولة، رغما عما كان يلقاه نوابهم كمن معاملة سيئة تحت قبة مجلس المبعوثان[51].

لم تكن فكرة اللامركزية في الحكم قد اخذت مجراها القوي بين الإصلاحيين العرب، وان يكن قد ظهر لها اثر في بداية العهد الدستوري انما حوربت كما لم تحارب اية فكرة أخرى ضارة في نظر من حاربوها، اما الفكرة القومية فقد كان سريانها محدودا ومنحصرا في فئات الشباب العربي الناشئ وخاصة بين طلاب المدارس العالية الذين الفوا المنتدى الادبي في إستنبول بعد ان الغى الاتحاديون جمعية الأخطاء العربي العثماني بدعوى ان أعضاؤها كان لهم ضلع في الثورة المضادة، وضم ذلك المنتدى عدة الاف في عضويته وانشئت له فروع في الشام والعراق[52]، وان كانت الأفكار اللامركزية والقومية تسير قدما الى الامام وتتغلغل في نفوس السواد الأعظم من الإصلاحيين العرب تبعا لتطورات التنافس القومي بين العرب والأتراك، فكلما اشتد الأخير في معاملة العرب كانوا يقطعون الخيوط التي تربطهم بالحكم المركزي العام، ويتجهون خطوة نحو الحكم اللامركزي ونحو الشعور بكيان قومي مستقل، وخلال المدة من 1910 وحتى نشوب الحرب العالمية الأولى كانت الاحتكاكات والمطالبات بحقوق العرب محدودة النطاق يكتنفها

---

[49]() ساطع الحصري، المصدر السابق، ص ص173–174.

[50]() احمد جمال باشا، مذكرات جمال باشا، اعداد محمد السعيدي، بيروت، دار الفارابي، 2013، ص96.

[51]() توفيق علي برو، المصدر السابق، ص148.

[52]() قدري قلعجي، المصدر السابق، ص89.

التردد حتى في مجلس المبعوثان الذي لم يتخذ النواب العرب فيه خطة منظمة لإنجاح المطالب العربية[53]، وفي ذات السياق ظهرت في استانبول جمعية عربية سرية باسم القحطانية تضم عددا من المدنيين والعسكريين العرب تدعو الى دولة عثمانية ثنائية القومية تتكون من العرب والأتراك على غرار امبراطورية النمسا والمجر، وكانت ترمي لعمل جامعة عثمانية مشتركة بين العناصر لا تتعدى حدود الولايات المستقلة ذاتيا على أساس اللامركزي في الحكم[54].

د-حزب اللامركزية الإدارية العثماني: -

شرع بعض الناشطين العرب في تشكيل حزب اللامركزية الإدارية العثماني بالقاهرة في كانون الأول 1912 مستهدفين من تأسيسه الدفاع عن البلاد وتجنيبها كارثة لاعتداء الأجنبي عليها بإقامة اللامركزية في الحكم، وتضمن برنامج الحزب ان الدولة العثمانية دولة دستورية نيابية وكل ولاية من ولاياتها تعد جزءا من السلطنة لا ينفك عنها باي حال من الأحوال وانما تبنى تلك الولايات على أساس اللامركزية الإدارية والسلطان الأعظم هو الذي يعين الوالي وقاضي القضاة اللذين يقوم كل منهما في حدود دائرته بتعيين سائر موظفي الولاية، بعد اختيار مجلس إدارة لهم ولا يجوز عزل موظف الا بحكم من مجلس التأديب[55].

وان يكون في مركز كل ولاية مجلس عمومي ومجلس إدارة ومعارف واوقاف وتكون جميع قرارات المجلس العمومي نافذة وله الحق في مراقبة حكومتها والنظر في جميع شؤون الإدارة المحلية من إقرار موازنة الولاية والشؤون البلدية وتعديل قوانين انتخابات المجالس المحلية هذا الى جانب تعميم التعليم في كل ولاية بلغة أهلها، وان تكون في كل ولاية لغتان رسميتان التركية واللغة المحلية وان يؤدي أبناء الولايات الخدمة العسكرية في غير ظروف الحرب داخل ولايتهم [56].

وهكذا تقاطعت مبادئ الحزب الذي حمل على مركزية الحكم التي تبناها الاتحاديون مع التوجهات الإصلاحية للأمير العثماني (صباح الدين) [57]، وتماثلت مع برنامج حزب الحرية والائتلاف العثماني وان زاد عليه في التأكيد على الحقوق القومية للعناصر العثمانية وتوسيع صلاحيات المجالس المحلية في الولايات، ولم يتوان ذلك الحزب منذ تأسيسه في العمل على تحقيق الإصلاح اللامركزي من خلال المقالات الصحفية والتعاون مع الجمعيات الاصلاحية العربية الأخرى التي تألفت في كل من بيروت ودمشق وبغداد والبصرة وباريس وهو ما حظي باستجابة ما من حكومة الائتلاف والحرية قبل الانقلاب الاتحادي الثاني في كانون الأول 1913 وتشكيل حكومة اتحادية صرفة خلت من أي وزير عربي وشرعت في طور جديد من السيطرة الطورانية[58].

بدأ الاتحاديون بالمراوغة قبل نشر قانون الولايات الجديد عن طريق إطلاق تصريحات للاستهلاك المحلي والاستيعاب الوهمي للتطلعات القومية، مثل عزم الحكومة على القيام بالإصلاح على الطريقة اللامركزية وتقسيم البلاد

---

[53]() توفيق علي برو، المصدر السابق، ص149.

[54]() قدري قلعجي، المصدر السابق، ص90.

[55]() سعد ثامر الحميدي، المصدر السابق، ص286.

[56]() المنار "مجلة"، القاهرة، مطبعة المنار، المجلد (16)، ج(2)، شباط، 1913، ص229.

[57]() صباح الدين: ولد في 13 شباط 1879، وكان والده محمود جلال باشا وزيرا للعدل، ووالدته السلطانة سنيحه ابنة السلطان عبد المجيد واخت السلطان عبد الحميد الثاني، لقب بالسلطان زادة (ابن السلطان) واستخدم لقب الأمير في اوربا، تأثر صباح الدين بالسياسات الغربية فدافع عن اللامركزية في الحكم. للمزيد انظر: https://www.turkprss.com/node وعلى العنوان التالي: الأمير صباح الدين أخر ليبرالي عثماني بتاريخ 2018/2/16.

[58]() توفيق علي برو، المصدر السابق، ص376.

الى مقاطعات إدارية كبيرة لكل منها مراقبون أجانب للتطبيق المجدي الذي يأخذ في الاعتبار تفاوت الولايات في الاحتياجات الأساسية واختلاف الاقوام التي تقطنها ومراعاة خصائصها المحلية [59].

ان التبشير بان قانون الولايات الجديد يتضمن من الإصلاحات [60] اللامركزية ما يفوق تصور الإصلاحيين العرب سيصل قريبا وسينفذ في أواخر اذار 1913، ولكن سرعان ما أسفر الاتحاديون عن استبدادهم العنصري بإغلاق جمعية بيروت الإصلاحية مطاردة الإصلاحيين العرب في بيروت ودمشق ونشروا قانون الولايات الجديد وكان نسخة طبق الأصل عن مثيله الذي كانت الحكومة وضعته في عام 1910 ولم يقبل به مجلس المبعوثان فأهمل[61] الذي جاء مناقضا تماما لما هدفت اليه برامج حزب اللامركزية الإدارية وجمعية بيروت الإصلاحية، فينما كانت الفكرة السائدة لدى الحزبين هو توسيع صلاحيات المجالس العمومية والإدارية للولايات واستقلالها التشريعي المحلي وحصر مهام الوالي كمأمور تنفيذ لقراراتها وتقليص انفراده بتسيير شؤون الولاية وفق التوجهات المركزية التركية، أعطى القانون الجديد للوالي سلطات مطلقة وسيطرة تامة على المجالس العمومية والإدارية، مما يفرغ النضال العربي اللامركزي من مضمونه بتوسيع المأذونية وتوزيع الوظائف لولاتهم الاتحاديين وليس لشعوب الولايات ومجالسهم المحلية مما دفع العرب للمعارضة الشديدة لذلك القانون[62].

هـ-المؤتمر العربي الأول في باريس 1913: -

في أوائل سنة 1913 نشأت فكرة عقد المؤتمر العربي وسعت المنظمات العربية العلنية والسرية وبعض السياسيين والمفكرين والطلبة العرب المقيمين في فرنسا لتحقيقه وقد انبثقت الفكرة أصلا في اذهان خمسة شبان كانوا يتلقون العلم في مدارس باريس العليا وهم عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وتوفيق فايد من بيروت وعوني عبد الهادي من نابلس وجميل مردم من دمشق، كان هؤلاء أعضاء في الجمعية العربية الفتاة السرية[63] وحاولوا الاتصال بشخصيات عربية في باريس مثل شكري غانم وندرة مطران ودعوا الجالية العربية هناك الى اجتماع عام، وانتخبت لجنة تحضيرية من ثمانية اشخاص هم شكري غانم وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وندرة مطران وعوني عبد الهادي وشارل دباس وجميل مردم وجميل معلوف[64].

وجهت اللجنة التحضيرية في 4 نيسان 1913 كتاب دعوة الى اللجنة العليا لحزب اللامركزية العثماني في القاهرة [65] وبالتنسيق معه حول فعاليات المؤتمر والذي يبحث في المسائل التالية [66]:

1. حقوق العرب في المملكة العثمانية.
2. ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية.

---

[59]() المفيد "جريدة"، بيروت، العدد (1192)، 1913/2/3.

[60]() الاهرام "جريدة"، القاهرة، العدد (1055)، 1913/3/19.

[61]() الاهرام "جريدة"، القاهرة، العدد (1070)، 1913/4/8.

[62]() الاهرام "جريدة"، القاهرة، العدد (1078)، 1913/6/4.

[63]() محمد عزت دروزه، المصدر السابق، ص421.

[64]() علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، بيروت، الاهلية للنشر والتوزيع، 1978، ط2، ص148.

[65]() محمد إبراهيم محمد، المصدر السابق، ص87.

[66]() محمد كامل الخطيب، المؤتمر العربي الأول، سلسلة قضايا وحوارات النهضة العربية، رقم (22)، دمشق، 1996، ص7.

3. الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال.

وقد تقاطرت وفود المؤتمر من كل حدب وصوب فجاء عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية الإدارية العثماني(عبد الحميد الزهراوي) الذي ترأس المؤتمر و(إسكندر عمون) الذي تولى نيابة الرئيس وعن جمعية بيروت الإصلاحية(سليم سلام واحمد مختار بيهم) و(خليل زينيه) محرر جريدة الثبات البيروتية والشيخ(احمد طبارة) صاحب جريدتي الإصلاح والاتحاد العثماني البيروتية والدكتور(أيوب ثابت والبير سرسق) وعن العراق(توفيق السويدي وسليمان عنبر) كما حضره اخرون عن بعلبك ونابلس ودمشق وعن مهاجري أمريكا وعن جالية استانبول(عبد الكريم خليل)[67].

أكدت الكلمات الافتتاحية والمناقشات في جلسات المؤتمر على الولاء التام للرابطة العثمانية وعدم الرغبة في الانفصال عن الدولة بشرط ان تعترف الأخيرة بحقوق العرب وتشركهم في إدارة السلطنة، والا فان العرب يضطرون الى تغيير موقفهم، وكذلك شجب التدخل الأجنبي او المراهنة عليه[68]، وفي السياق ذاته صدرت قرارات المؤتمر بنهاية الجلسة الختامية وكانت كالآتي[69]:

1. ان الإصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب الإسراع في تنفيذها.
2. ضرورة ضمان نيل العرب حقوقهم السياسية بأشراكهم فعليا في الإدارة المركزية للمملكة.
3. تنفيذ مقررات لائحة بيروت الإصلاحية التي تم إقرارها في 1913/1/31.
4. اعتبار اللغة العربية في مجلس المبعوثان العثماني لغة رسمية وإقرارها لغة رسمية في الولايات العربية.
5. تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية الا في ظروف الحرب.
6. يتمنى المؤتمر من الحكومة العثمانية ان تكفل لمتصرفية جبل لبنان وسائل تحسين ماليتها.
7. يصادق المؤتمر ويظهر تعاطفه مع مطالب الأرمن العثمانيين القائمة على اللامركزية.
8. تبليغ هذه المقررات للحكومة العثمانية وحكومات الدول المتحالفة معها.
9. إذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها المؤتمر فالأعضاء المنتمون الى لجان الإصلاح العربية يمتنعون عن قبول أي منصب كان في الحكومة العثمانية الا بموافقة خاصة من الجمعية المنتمين اليها.
10. ستكون هذه المقررات برنامجا سياسيا للعرب العثمانيين ولا يمكن مساعدة أي مرشح في الانتخابات التشريعية الا إذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه.
11. شكر المؤتمر الحكومة الفرنسية لاستضافتها عقد المؤتمر في عاصمتها.

وبشكل عام نجح المؤتمر الذي شكل وفد منه للتوجه للخارجية الفرنسية شاكرا استضافتها لها، وللسفارة العثمانية في باريس لتسليم السفير العثماني رفعت باشا لائحة المقررات التي كانت لها أهمية كبرى لأنها جاءت محققة للمطالب اللامركزية وفقا لبرامج الأحزاب العربية من جهة وموحدة لجهود العرب وجمعياتهم الإصلاحية بحيث اوجدت برنامجا سياسيا للعرب العثمانيين من جهة أخرى حظيت بتأييد مئات البرقيات الواردة عليه من مختلف الشخصيات العربية [70].

---

[67]() سعد ثامر الحميدي، المصدر السابق، ص289.

[68]() ساطع الحصري، المصدر السابق، ص291.

[69]() محمد كامل الخطيب، المصدر السابق،، ص ص113-120.

[70]() سعد ثامر الحميدي، المصدر السابق، ص290.

ورغم نقمة الاتحاديين على المؤتمر العربي واعضائه وكونهم مشككين في صلته بفرنسا الا أنهم أرسلوا مدحت شكري سكرتير اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي على رأس وفد لمفاوضة أعضاء المؤتمر في باريس على مشروع اتفاقية عربية تركية وقعها عن الشبيبة العربية باستانبول والمفوض عن المؤتمر عبد الكريم خليل وعن الجانب التركي مدحت شكري لتكون مسودة اتفاق باريس بين حكومة الاتحاديين وأعضاء المؤتمر الذين اقروها مع بعض التعديلات وعاد الموقعان عليها(بالأحرف الأولى) الى استانبول لإتمام المباحثات بشأنها مع اركان جمعية الاتحاد والترقي وجرى الاتفاق النهائي على بنودها التالية التي وقعها عبد الكريم خليل عن الشبيبة العربية وطلعت بك بصفته وزيرا للداخلية وكانت كالآتي[71] :

1. يكون التعليم بجميع مراحله باللغة العربية في جميع الولايات العربية على ان يكون تعليم اللغة العثمانية اجباريا في المدارس الإعدادية.
2. يشترط في رؤساء المأمورين معرفة اللغة العربية وأما سائر المأمورين فيستعينون من قبل الولاية، عدا الحكام ومأموري العدلية الذين يتولون أعمالهم بإدارة سنية سيعينون من المركز.
3. تتولى مجالس الجماعات المحلية إدارة العقارات والمؤسسات الوقفية.
4. الأمور النافعة (المرافق العامة) ستترك للإدارة المحلية.
5. يخدم الافراد العسكريون في وقت السلم داخل الولايات العربية.
6. ان المقررات التي تتخذها مجالس الولايات العامة ضمن صلاحياتها القانونية ستكون نافذة.
7. سيكون للعرب ثلاث وزراء وعدد مماثل في الدوائر المركزية وفي كل وزارة أربعة او خمسة موظفين.
8. سيكون في الوقت الراهن خمسة ولاة وعشرة متصرفين من العرب واما فيما بعد سيكون تعيين الموظفين وترفيعهم وتأديبهم وفقا لقانون خاص.
9. يعين في مجلس الاعيان من العرب بنسبة اثنين من كل ولاية عربية.
10. يعين في كل ولاية مفتشون متخصصون من الأجانب وستقرر صلاحياتهم وواجباتهم وفق قانون خاص.
11. تسديد النقص في ميزانيات دوائر الولايات، وتخصص نصف حصيلة ضريبة المسقفات الى الإدارات المحلية على ان تنفق على الأمور النافعة.
12. تكون المعاملات الرسمية في الولايات العربية باللغة العربية تدريجيا.

الا ان الحكومة الاتحادية ماطلت في تنفيذ معظم بنود هذا الاتفاق مما وضع فكرة اللامركزية في الحكم العثماني التي راهن عليها العرب كشرط لإصلاح ولاياتهم في ظل الرابطة العثمانية في محك الاختبار الذي ستكشف عنه مجريات الاحداث في الأجواء التحضيرية للحرب العالمية الأولى وأيضا ما تمخضت عنه تلك الحرب من نتائج حسمت مصير الدولة العثمانية برمتها.

[71]() توفيق علي برو، المصدر السابق، ص79.

المبحث الثالث: دور سياسة التتريك في انهيار الدولة العثمانية: –

أ–الحرب العالمية الأولى وأثرها في تأجيج الصراع القومي: –

مثلت سنوات الحرب العالمية الأولى مرحلة فارقة في العلاقات العربية التركية الممتدة لأربعة قرون مضت، حيث تبلورت فكرة الانفصال، وأضحت تتجاوز ما سبقها من أفكار وتوجهات في العلاقات القائمة الى القول الفصل في علاقات بين قوميتين تشكلان عنصري دولة امبراطورية على اعتاب القرن العشرين رغم ان فكرة الانفصال لم يتم الإعلان عنها فجأة، لأنها بدت في أولها غامضة ومشوشة الى ان جاءت الحرب وفرضت بنتائجها المروعة تغييرا قسريا لواقع مترهل [72].

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى الدائرة بين المانيا والنمسا(المحور) من جهة وانكلترا وفرنسا وروسيا(الحلفاء) من جهة ثانية دون مصلحة حقيقية او استعدادات عسكرية تذكر اللهم الا رغبة متنفذيها في استعادة ولايات عثمانية والحفاظ على ما تبقى من ممتلكات الدولة، وهذين المطلبين لن يتحققا الا بالتحالف مع من يتوقعون انتصاره من الطرفين المتحاربين، هذا الى جانب ان ظروف الحرب وما تمليه من احكام عسكرية وعرفية تسمح للدكتاتورية العسكرية الواعدة بسحق الاماني القومية لما تبقى من عناصر الدولة غير الاتراك من عرب وارمن وكرد[73].

القت الدكتاتورية العسكرية التركية الدولة العثمانية رغم معارضة الجميع على رأسهم الحكومة في أتون حرب طاحنة انتهت باحتلال جميع أراضيها دون استثناء، الأناضول اقليمها المركزي والعاصمة ذاتها وتقسيمها كغنائم حرب بين دول الحلفاء المنتصرين لتواجه كل قومية بل وكل ولاية عثمانية واقعها الجديد بما تسمح به تصاريف الاقدار التي عبرت عنها إرادة المنتصر من خلال اتفاقيات سرية (سايكس بيكو) أو علنية (مؤتمر الصلح بفرساي 1919 وسيفر 1920 ولوزان 1923) وكانت الأخيرة هي الصيغة النهائية لتأبين الدولة العثمانية التي أمست أثرا بعد عين[74].

وجردت حكومة الاتحاديين حملة عسكرية لغزو مصر الخاضعة للاحتلال الإنكليزي لا لتحريرها كما كانت تدعي ولكن لتخفيف الضغط العسكري للحلفاء على الالمان الذين مولوا تلك الحملة في الجبهة الغربية ولاستعادة السيطرة التركية على مصر التي كانت خاضعة اسميا فقط للدولة، ونظرا لضعف الحملة العسكرية التركية تنظيما وتسليحا وبدائية وسائلها اللوجستية وتقاعس عرب الحجاز عن الاشتراك فيها وعدم تجاوب المصريين معها، فقد منيت الحملة بالفشل الذريع وتعرضت لهزيمة ساحقة، حيث لم تستمر المعركة الا ساعات وكادت قوات الحلفاء ان تبيدها عن آخرها لولا هروب قائدها جمال باشا وزير البحرية ووالي سوريا وقائد الجيش الرابع مع فلول الهاربين مخلفا على ضفتي القناة عشرات المئات من القتلى والجرحى والأسرى[75].

وبعد عودة القائد المهزوم الى دمشق ليفتح الملفات المؤجلة ضد احرار العرب ويبدأ في حملة من الاضطهادات للعرب والتنكيل والتصفية الجسدية لرموزهم مما دفع من جديد بفكرة الاستقلال العربي عن الدولة العثمانية الى صدارة المشهد السياسي وتختمر على خلفيتها مشروعات الثورة العربية في المناطق الخاضعة للحكم العثماني المباشر، حيث عبرت عن هذا التحول العربي أكثر (جمعيتا العربية الفتاة والعهد) اللتان نشأتا قبل الحرب على فكرة اللامركزية الا

---

[72]() سعد ثامر الحميدي، المصدر السابق، ص292.

[73]() بان غانم احمد الصائغ، المصدر السابق، ص13.

[74]() سعد ثامر الحميدي، المصدر السابق، ص293.

[75]() عبد العليم أبو هيكل، دور القبائل الحجازية والشامية في الثورة العربية 1916، المؤرخ المصري "مجلة"، ع(1)، لسنة 1988، ص274.

انهما تحولتا بعد نشوب الحرب وتوالي الانتكاسات العسكرية وتزايد وتيرة الاضطهادات التركية الى الانفصال عنها[76].

ب-الثورة العربية في الحجاز والشام: -

ازدادت الصعوبات العسكرية البريطانية في أكثر من جبهة واسراف جمال باشا اعدام الاحرار العرب في سوريا ولبنان وتفاقم الاستياء ضد الاتراك مع وصول الحملة العسكرية التركية المتجهة نحو اليمن الى المدينة المنورة، كل تلك الظروف اقنعت الأطراف المعنية ان الوقت قد حان لإعلان الثورة العربية ضد الدولة العثمانية في حزيران 1916 بمكة قبل ان تتم الاستعدادات كلها [77]، خاصة موقف الشريف حسين كان اكثرهم حرجا اذ أعلن تمرده على الدولة العثمانية صاحبة الخلافة دون ان يعلن أسبابا قوية للعالم الإسلامي، ركز في ذلك الإعلان على سيطرة جمعية الاتحاد والترقي وخاصة الثالوث (أنور[78] وجمال[79] وطلعت[80]) على الدولة وأغتصاب السلطة الحقيقية من خليفة المسلمين، وعدد الكثير من أعمالهم المخالفة للدين الإسلامي وان قرارهم بدخول الحرب في صراع أوربي بحت أضر بمصير ومستقبل الدولة العثمانية التي خسرت العديد من ولاياتها في البلقان وليبيا[81].

اثار الشريف حسين الأحقاد العرقية الممزقة لشمل الامة العثمانية مذكرا بجرائمهم ضد الأرمن واضطهادهم للعرب ولغتهم ورموزهم الدينية والتاريخية، وقاصرا عداوته لفئة الاتحاديين لا للشعب التركي ولا للدولة العثمانية، فحطم بذلك فكرة الجهاد الإسلامي التي كان السلطان العثماني اجبر على إعلانها عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى [82].

واختلفت ردود الفعل للثورة التي اطلقها الشريف حسين في 9 شعبان 1334هـ/10 حزيران 1916، ففي الجزيرة العربية لاقت تأييدا حذرا من الامراء والحكام باستثناء ابن الرشيد امير حائل وامام اليمن الموالين للأتراك، وفي مصر

---

[76]() علاء موسى كاظم نورس، الحركة القومية العربية حتى الحرب العالمية الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية "مجلة"، جامعة صنعاء، العدد (17)، 1994، ص380.

[77]() مكي شبيكة، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى، القاهرة، دار الثقافة للطباعة، 1970، ص90.

[78]() أنور باشا: ولد في 22 تشرين الثاني 1881، وهو قائد عسكري وأحد قادة حركة تركيا الفتاة، عين في الفيلق الثالث في سالونيك ثم رئيس اركان الفيلق الثالث، وأنضم الى جمعية الاتحاد والترقي وشارك في الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908، كما شارك في حرب طرابلس ضد الايطاليين ثم أصبح وزيرا للحربية خلال الحرب العالمية الأولى وقد توفي في عام 1922. للمزيد انظر: https://www.ar.m.wikipedia.org

[79]() جمال باشا: ولد في 6 آيار 1873، وهو عسكري وسياسي بارز واحد زعماء تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي، وقاتل البلغار في مقدونيا واشترك في الانقلاب 1908، وشغل منصب وزير الاشغال العامة 1913 ثم قائدا للبحرية 1914، وقد عين في سوريا 1915 وقد توفي في 21 تموز 1922. للمزيد أنظر: https://www.m.marefa.org

[80]() طلعت باشا: ولد في 10 نيسان 1874، وهو مؤسس جمعية الحرية العثمانية واحد القادة البارزين في الدولة العثمانية واحد المؤسسين لجمعية الاتحاد والترقي واحد انقلابي 1908، كما لعب دورا كبيرا في دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى وكان له دورا في مذابح الارمن، وقد توفي في 15 آذار 1921. للمزيد انظر: https://www.ar.m.wikipedia.org

[81]() قدري قلعجي، المصدر السابق، ص ص228-229.

[82]() توفيق علي برو، المصدر السابق، ص ص362-363.

استقبلتها الدوائر الموالية لتركيا بامتعاض عكس استقبال الجاليات العربية من السورية والعراقية بالقاهرة والقطاعات الشعبية المصرية التي استقبلتها بحماس، كذلك تباينت المواقف الأممية منها فالشعوب الإسلامية الخاضعة للنفوذ الاستعماري لدول الحلفاء أعلنت استبشارها بالثورة، وعلى الجانب الاخر لم تكد انباء الثورة تصل الى الاتراك حتى ثارت ثائرة جمال باشا فامر فخري باشا قائد الجيش العثماني بالمدينة المنورة بان يسير الى مكة ويحتلها ويعتقل الشريف حسين وأولاده، وتضاعفت شراسته فصب حمم غضبه على من بقي طليقا من زعماء واحرار العرب فاعتقلهم وعذبهم، ولولا مبادرة الأمير فيصل بن الحسين بإنذار جمال باشا بانه مقابل كل شهيد جديد من زعماء العرب سيضطر الى اعدام عشرة من الضباط الاتراك الاسرى لديه، لكان قد حل بهؤلاء الزعماء ما حل بسابقيهم، وكان لذلك الإنذار اثره الفعال في الافراج عنهم لاحقا[83].

لم تكن السلطات العثمانية لتطلع الشعب على حقيقة الثورة العربية، اذ ظلت البلاغات العثمانية مدة أسبوعين تنفي وقوع أي اضطراب الى ان أصدرت جريدة الشرق في 29/ حزيران/1916 تنوه بان بعض الفئات القبلية هاجمت بضعة مراكز في جوار المدينة المنورة، دون ان تشير الى الشريف حسين بشيء ولم تسمح بالخوض في موضوع الثورة العربية، فقد كان للثورة العربية وقع شديد على الحكومة العثمانية في استانبول وبلغ استياؤها منها مبلغا عظيما، فبادرت فورا وبعد ساعات من بلوغها النبأ الى استصدار إرادة سنية بخلع الشريف حسين من امارة مكة الى منافسه من ذوي زيد الشريف علي حيدر الذي كان يشغل حينئذ منصب نائب رئيس مجلس الاعيان[84].

وفي اعقاب الحرب العالمية الأولى التي افرزت نتائجها واقعا جديدا في الشرق العربي بعد زوال الحكم العثماني، ولم يتبق من الدولة العثمانية سوى أشلاء ولايات جميعها خاضع لقوات احتلال اوربية منتصرة تسعى لتنفيذ اجندتها السياسية وفق مشاريعها الاستعمارية عبر وعود وتسويات واتفاقيات ابرمت اثناء الحرب.

[83]() سعد ثامر الحميدي، المصدر السابق، ص303.

[84]() قدري قلعجي، المصدر السابق، ص231.

الخاتمة:

يمكن من خلال ما تقدم ان نستنتج في بحثنا **(دور سياسة التتريك في انهيار الدولة العثمانية)** ما يلي:

1. اتســـم حكم جمعية الاتحاد والترقي في اعقاب انقلاب عام 1908 بوجود عدد كبير من اليهود الموالين للدول الاوربية التي لها أطماع ومصالح في الدولة العثمانية فضلا عن التأييد الواضح للصهيونية ومخططاتها والسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين والتغاضي عن بيع الأراضي لهم.
2. بدأ القادة الجدد بعد الانقلاب في استقدام الخبراء من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، وأصبح الأجانب مسيطرين على شـؤون الدولة، وقد أدت تلك الأوضـاع الى انخفاض شـعبية الاتحاديين لدى الشـعب التركي والعربي، وبدأ الجيش بالتذمر مما اضطر القادة الجدد الى ابعاد المتمردين الى الجزيرة العربية.
3. كانت حكومة الاتحاديين تعمل على ابعاد العناصـــر غير التركية من القوميات الأخرى عن مراكز الســـلطة، ولاسيما القوميين العرب الذين شاركوهم في الانقلاب.
4. تمكنت الماسونية وبمساندة الدول الاوربية من العمل على نخر الدولة العثمانية من خلال تأجيج الحركات القومية التي عملت وبجد لخدمة المصـــالح الصـــهيونية والاوربية، وفي النهاية كان للجامعة الطورانية (القومية التركية) الدور الكبير في انهيار الدولة العثمانية.
5. كان متنفذي حكومة الاتحاديين قد قابلوا التوجهات العربية بنكران واسـتعلاء واسـتعرت حملات صـحافتهم ضـد العرب وهضـــم حقوقهم في الوظائف وتجاهلهم في ســـياســـة الدولة وادارتها وتكميم مبعوثيهم وتجريد الحملات العسـكرية على حوران والعراق والجزيرة العربية والتنكيل بمواطنيهم، مما أجج نار الاسـتقطاب الطائفي والتجييش القومي ضد بعضهما البعض.
6. كانت العلاقات بين القوميتين العربية والتركية قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى خاضـعة لعوامل الشـد والجذب بين الطرفين بحســـب زيادة وتيرة مطالب الإصـــلاحيين العرب ومدى اســـتجابة الحكام الاتراك الاتحاديين لتلك المطالب.
7. لم يكن للاتحاديون في دخولهم الحرب العالمية الأولى ناقة ولا جمل هذا من جهة، فضـلا عن احوالهم السـياسـية والعسـكرية والاقتصـادية يشـوبها الكثير من الفسـاد والتخلف والجهل هذا من جهة أخرى، واختيارهم الدخول الى الحرب بجانب المانيا هذا من جانب ثالث، والتي أدت في النهاية الى انهيار الدولة العثمانية.
8. كان لسـياسـة التتريك التي اتبعها قادة جمعية الاتحاد والترقي ضـد القوميات الأخرى بشـكل عام والقومية العربية بشكل خاص، دافعا للأحرار العرب بالمطالبة بالاستقلال الذاتي عن الدولة وبالتالي انهيار الدولة العثمانية.